

«محاكمة شيكاغو» فيلم يكشف الوجه الآخر لأميركا

وقائع يوميات المعارضة الشعبية لحرب فيتنام في محاكمة دراماتيكية



يوميات العنف في الحياة الأميركية ضد الحرب



محاكمة الوجدان الأميركي بسبب حرب فيتنام

واضحة ما بين فوضويين وحركات تقديمية ومدافعين عن حريات السود ومدافعين عن الحريات المدنية وحقوق المرأة. وعلى هذا تم تأسيس الدراما الفيلمية على ركائز ترتبط بالمجتمع وبعمق الصراعات المتفاقمة فيه، وبهذا فارتقت الأحداث أية شعارات سطحية أو مجرد تاجيح للمشاعر، ومن ثم فإن الأرضية كانت مهيبته تماما للمضي في تصعيد الدراما لإسيما وأن قاعة المحاكمة في حد ذاتها لم تكن إلا امتدادا لما كان يجري في الخارج من انتفاضة شعبية متصاعدة ضد الحرب.

تحول الانتفاضة ضد الحرب إلى رمز اجتماعي من خلال ارتباطها بمدينة شيكاغو، ملتقى التجمع الشعبي الواسع المناهض للحرب، وحيث لا يربط المنتفضين من رابط سياسي بسبب انتفاءاتهم السياسية المتعددة إلا أن شيكاغو تجمعهم في بؤرة ثورية تترك السلطات.

هذا سوف يتحول المكان/ المدينة إلى قيمة رمزية دالة وعنوان مباشر للتأثير في جيل بأكمله لغرض الانخراط في التيار المعارض للحرب، وهو ما يظهر جليا من خلال اللقطات الوثائقية والأرشيفية التي تؤكد تلك التجمعات ومثني وكيف وقع التصادم مع أجهزة الأمن وكيف سقط العشرات من الضحايا واعتقال مئات. كل ذلك تجري وقائعه من خلال جلسات المحاكمة وكيف تم تفصيل إفادات الأطراف المتعددة ومواقفهم إلى أرضية تم تأسيس الدراما الفيلمية عليها وتم تعزيزها بمزيد من المقاطع الوثائقية التي كانت في حد ذاتها وفي كثير من الأحيان بالغة الأهمية وأسهمت في تصعيد الدراما الفيلمية.

المحاكمات وما دار فيها، ولكن وفي الوقت نفسه تم إعداد الحوار بطريقة مميزة. ومع تدفق المشاهد الأولى الوثائقية للحرب، سوف نتعرف على الشخصيات الرئيسية ومن بينهم كما ذكرنا توم وزميله ريني ديفيز (الممثل الكيس شارب) وهما من قادة التجمع الطلابي من أجل الديمقراطية، وجيري روبين (الممثل جيرمي سترونغ) وأبي هوفمان من حركة حركة المعارضة المناهضة للحرب في فيتنام ومن خلال زعيمها ديفيد ديلينجر (الممثل جون كارول لينتس) حركة الفهود السود الشهيرة من خلال رمزها بوبي سيل (الممثل يحيى عبدالمجتب).

الرموز السبعة

يشترك المعارضون السبعة في صراع لا تعرف نهاياته لإسيما وأنه يأتي مزامنا مع التغيير الحاد في النظام السياسي بانتهاء حقبة الرئيس جونسون وبدء حقبة الرئيس نيكسون، وما تخلل ذلك من حملات متصاعدة ضد حرب فيتنام، ولهذا يمكن رسم كثر من ملامح الجيولوجيا الشخصية المرتبطة بزعماء الحراك، والذين ليسوا بالضرورة منسجمين مع بعضهم البعض في أداء مهمتهم. وهو واقعا فعل السوسولوجيا بوصفها عاملا إضافيا في تلك الدراما، إذ يوظف الفيلم الانقسام المجتمعي الفاضح والقوى الفاعلة في المجتمع فضلا عن أن واحدة من ركائز تلك السوسولوجيا هي قوى الصراع وهذه أيضا كانت

من خلال مقالات العديد من النقاد السينمائيين في عدم قناعتهم بمستوى البناء الدرامي والمعالجة السينمائية لتلك الأحداث التاريخية العاصفة التي كانت قد شهدتها الولايات المتحدة في حقبة الستينات وخاصة حقبة حرب فيتنام التي هي محور هذا الفيلم. لنعد إلى شكل المعالجة الفيلمية، فنمذ المشاهد الأولى يظهر الموقف السياسي المتصاعد، والذي سوف يؤسس لتلك الدراما ويرسم مسارات الصراع في الفيلم، صور وثائقية بالأبيض والأسود للرئيس جونسون في خطاب إلى الأمة بتعزيز الحشود العسكرية التي يتم إرسالها إلى فيتنام بألاف جديدة من الجنود.

وهو يحدد عديد الجنود الذين سوف يتم إرسالهم إلى الحرب من 17 ألفا إلى 35 ألفا شهريا، وهو ما انعكس بشكل مباشر على التيارات المناوئة للحرب وسفر من المواجهة.

يهدد المخرج للأجواء السائدة بتحذير قادة سياسيين من البيض والسود من تاجح السموم في الحياة الأميركية من جراء أجواء الكراهية والعنصرية التي كانت حرب فيتنام سببا مباشرا فيها، وهو ما يعلنه مارتن لوثر كينغ في خطابه إلى الأمة.

من هنا يمكننا أن نلاحظ أجواء المواجهة التي لا بد منها والتي سوف تشهدها المحاكمات ودراما هناك الاستقطاب الشديد بين طرفين متعارضين. وبحسب للمخرج، وهو نفسه كاتب السيناريو، أنه كتب المناقشات وإفادات الرأي العام والمتهمين بحرفية عالية وبلاغة إلى تراكب متاح لتوثيق تلك

محطات درامية مهمة شهدت ذلك النوع من السجل الشرس مع القضاء والإدعاء العام، وكانت تفاصيل تلك الجلسات يتم نقلها يوميا إلى الرأي العام. من بين تلك الشخصيات أبي (الممثل سانشا كوين) الذي يقود تيارا شعبيا مناوئا يسعى إلى الوصول إلى منصة سياسية قادرة على المناقشة، لكن انتماءه ووجهة نظره السياسية يتقاطعان مع رؤية ووجهة نظر نظيره توم هايدن (الممثل إيدي ريدمانين) وحيث يقود السجل بينهما إلى العراك.

المخرج وهو نفسه كاتب السيناريو كتب المناقشات وإفادات الرأي العام والمتهمين والسجلات في ما بينهم بحرفية عالية وبلاغة لافتة

وإذا توقفتنا عند البناء الدرامي للشخصيات فلا شك أن توم يبدو مختلفا، فهو الذي وقف احتراما للقضاء بينما امتنع السلك عن الوقوف، وهو الذي أدخل التيارات المناوئة للحرب في صراع صعب مع أجهزة القضاء بسبب دعوته الشهيرة «ما داموا قد أراقوا دماغنا فلنغرق المدن بالدماء». وذلك رد فعل انفعالي على ضرب زملائه وإدعاء رؤوسهم من طرف الشرطة مما أدى به إلى أن يلقي خطبة في الحشود المظاهرة داعيا إياها إلى مواجهة رجال الشرطة.

أما على الجهة الأخرى، فإن شخصية أبي الإشكالية الانتهازية وكثيرة الجدل من خلال عدد من المواقف التي ازنت ما بين العنف ومهادنة السلطات. والحاصل أن أبي دتوم والأخرين كانوا في نقطة منتصف الدائرة يلاحقهم سؤال مفاده هل هم المسؤولون عن العنف والمفجورون له أم أنه من صنع رجال الشرطة وأجهزة الأمن وهل أن ضرب المظاهرين والمحتجين واستخدام العنف المفرط ضدهم هو قرار سياسي أم أنه مجرد رد فعل لاستفزازات تقع ما بين الطرفين؟

هذه الإشكالية المحورية هي التي دفعت قداما باتجاه المزيد من الحركات القانونية والتي كما ذكرنا كانت الأهداف منها هي التخلص من رتابة أجواء الحوار المجرد في قاعة المحاكمة إلى ما يعصف الدراما مع أن هنالك العديد من الانتقادات التي رافقت عرض الفيلم

سمع عنه، وجهها العنفي وحيث هجمات قوات الأمن ورجال الشرطة والشرطة السرية لا تتوقف عن استهداف التجمعات المناوئة للحرب.

اللقطات الوثائقية التي استخدمها المخرج تظهر عمليات الاستدعاء المتواصلة للألاف من الشباب للالتحاق بالحرب في فيتنام وحيث تتدفق الرسائل لتصل إلى عشرات الألاف من الشباب الأميركيين تدعوهم للالتحاق بمراكز الجيش لغرض إعادهم وإرسالهم إلى الحرب.

يخوض الفيلم في وسط هذه الدراما في مسارات متعددة، فتلعب المظاهرات والاحتجاجات الشعبية العارمة تكمن ميزتها في انتمائها إلى تيارات شتى، كما ذكرنا وكذلك الحال مع المتهمين السبعة الذين ينتهون إلى توجهات مختلفة.

ولتجذير قوة الصراع في تلك المحاكمات التي استغرقت شهورا فقد حشدت الحكومة من جانبها أعلى أدواتها الاستخباراتية وطواقمها من المدعين العامين الشرعيين لغرض الإيقاع بالمحتجين وإثبات كونهم مجرد عناصر للشغب والتخريب، وتعمد التصادم مع أجهزة الأمن ورجال الشرطة بتقديمهم القاضي جوليوس هوفمان (الممثل فرانك لانغلا) في تجبره وغطرسته.

على أن ما يميز هذا النوع من الأفلام، علاوة على كونها ترتبط بشكل وثيق بالأحداث التاريخية والمؤنفة، هو اتكاؤها على الحوار، وبذلك تقرب مثل هذه الدراما من النمط المسرحي مما يدفع بالمخرج إلى إيجاد مقتربات أخرى لغرض التخلص من هذه النمطية ومن هذا القيد وذلك من خلال الانتقال من جلسات المحاكمة إلى المشاهدة واللقطات الأرشيفية أو إلى ما يدور في خارج المحكمة.

وميزة هذا الفيلم هي تمثيل الأحداث كالمظاهرات وتجمعات المنتزه ثم مزجها باللقطات الوثائقية الحقيقية بالأبيض والأسود.

البناء الدرامي

أما لجهة الشخصيات السبعة الرئيسية، فقد اختار نخبة من الممثلين المتميزين والوجوه السينمائية المعروفة وحيث كل منهم ينتمي لوجهة نظر وموقف محدد.

وما بين الوجوه السبعة التي برز من بينها أبي وهادين، كان التوازن في تلك الدراما من خلال القاضي المتغطرس وصعب المراس والذي لا يتبع أية فرصة للخروج عن سياقات المحكمة إلا بعقوبة الإزراء التي طالت محامي الدفاع، كما طالت عددا من المتهمين، ولنتوقف عند

لا شك أن قصص المحاكمات كانت وما تزال من القصص المفضلة عبر تاريخ السينما. تلك المحاكمات التي شهدت تحولات كبرى وتعرضت لشخصيات وأنظمة سياسية كانت كافية لتجذب إليها مخرجين وكتاب سيناريو تناولوا أبرز القضايا في مزج بين التخيل والواقعي، ما يخلق دراما مثيرة لها رسالة فكرية وسياسية وإنسانية علاوة على رسالتها الفنية.

طاهر علوان
كاتب عراقي



ما يميز هذه الأفلام التي تتناول قصص مرتبطة بشكل وثيق بقصص واقعية وأحداث مؤنفة تاريخيا وتعرض لشخصيات مرت بتلك المحاكمات.

وعلاوة على جوانب التشويق والإثارة التي تنطوي عليها عملية كشف الحقائق وظهور المفاجآت غير المتوقعة، فإن هنالك العودة إلى جذور الشخصيات وسيرها الحقيقية في الحياة وما تضمنه أو تخفيه من أسرار.

ويمكننا هنا أن نتذكر أفلاما مثل «بضعة رجال محترمون» 1993، «12 رجلا غاضبون» 1957، «مارشال» 2017، «مايكل كايون» 2016، «إيرين بروكوفيتش» 2000، «السر في عيونهم» 2009، «الداخل» 1999، «محامي لينكولن» 2011، «حركة مدينة» 1998، وغيرها.

غالبًا ما تراوحت قصص المحاكمات ما بين القصص السياسية أو القصص المرتبطة بالجريمة.

وجه آخر لأميركا

في القصص السياسية، هنالك اهتمام ملحوظ بعرض جانب من الحياة السياسية وحيات الزعامات والتيارات، وهو ما ينطبق على فيلم «محاكمة شيكاغو» الذي يعرض حاليا ومن إخراج أرون سوركين.

هو في الواقع مقطع مهم وبالغ الحساسية من الحياة الأميركية وواحدة من أكبر وأخطر الأزمات التي عصفت بالحياة السياسية الأميركية، وتقصدها بها حقبة حرب فيتنام وصعود الرئيس الديمقراطي ريتشارد نيكسون ثم سقوطه المؤدي بفضيحة ووترغيت.

كانت الحياة الأميركية تموج بالصراعات والمواقف المتعارضة ما بين شتى التيارات وخاصة لجهة تيارات اليسار ودعاة الحريات المدنية والمدافعين عن حقوق السود ثم التيارات المناهضة لحرب فيتنام.

هنا يتوقف المخرج عند عتبة مختارة من تلك الحقبة لسبعة من أشهر المعارضين لحرب فيتنام والذين انظموا في تيارات وجماعات مناوئة للحرب وبما في ذلك تنظيم المظاهرات الحاشدة وخاصة إيمان انعقاد مؤتمر الحزب الديمقراطي في العام 1968. إنه وجه آخر لأميركا شاهده العالم أجمع أو على الأقل



ميزة هذا الفيلم هي تمثيل الأحداث كالمظاهرات وتجمعات المنتزه ثم مزجها باللقطات الوثائقية الحقيقية